

أبو طالب (رضي الله عنه) .. حامي الرسالة وناصرها



عبد مناف، الذي اشتهر بـ(أبو طالب)، أبوه: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وكان سيّداً في قومه، أُمّه: فاطمة بنت عمرو بن عايد بن عمران. وكانت من أشراف قريش. بعد أن توفي عبد المطلب، خلفه ابنه أبو طالب في سيادة قبائل قريش، وكانت له مكانة كبيرة عندهم. ولمّا بدأ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بإظهار الدعوة، كان لأبي طالب دورٌ كبيرٌ في حمايته من قريش، الذين أرادوا التخلّص منه، إلا أنّ أبي طالب كان لهم بالمرصاد، ومنعهم من تحقيق مأربهم. وفي مرّة أراد أبو طالب إعلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما تقول قريش، فاستدعاه واطلّعه على ذلك، وحينها كان القول المشهور عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا عمه، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يسارِي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلك دونه». وطلب أبو سفيان من القوم إيقاف محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عند حدّه وعدم التساهل معه، فقد وقف أبو طالب بوجه أبي سفيان، ويقول أبو طالب: «والله لنمنعنّه ما بقينا أحياء وبيننا قوّة ومنعة»، ثم يوحّه أبو طالب الخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «فُمْ وتكلّم بما تحبّ، وبلاّغ رسالة ربّك، فأنت الصادق الصديق».

وهكذا تالت الأحداث المشرفة التي قام بها أبو طالب (رضي الله عنه) دفاعاً عن ابن أخيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). وفضلاً عن كلّ هذا الدفاع، فقد كان أبو طالب يحثّ قريش على اتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى أزّه قيل قد أسلم أكثر من أربعين شخصاً من جراء دعوة أبي طالب (رضي الله عنه) لهم. عندما أحسّ أبو طالب بدنوّ أجله، أخذ يوصي أولاده وأبناء عمومته، ولم يترك مجالاً إلا ويوصي خيراً بابن أخيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). كما وردت وصيّة عنه (رضي الله عنه) نصّها: «اجبوا الدّاعي، واعطوا السائل، فإنّ فيهما شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإنّ فيهما محنة في الخام، ومكرّمة في العام. وإنّي أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب، وهو الجامع لكلّ ما أوصيتم به... وقد جاءنا بأمر قَبْلَه الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشّنان...».

تُوفّي أبو طالب في مرض ألمّ به، وذلك في شهر رمضان، في آخر السنة العاشرة منبعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

أَمْ عليه وآلِه وَسَلَّمَ)، أَيْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِحَوْالَيْ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ حَوْالَيْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ عَامًا . . . وَبَعْدَهُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، تُوفِّيتْ زَوْجَ الرَّسُولِ خَدِيجَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، وَكَانَتْ وَفَاتُهُمَا سَبَبُ تَسْمِيَةِ هَذَا الْعَامِ بِعَامِ الْحُزْنِ، لِمَا أَلْمَ الرَّسُولُ مِنْ حُزْنٍ شَدِيدٍ عَلَى فَقْدِ الزَّوْجِ وَنَاصِرِ الرِّسَالَةِ . كَانَتْ لَوْفَاتُهُ الْوَقْعُ الْكَبِيرُ عَلَى نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، إِلَى درَجَةِ أَنَّهُ سَمِّيَ، بِحَسْبِ الرِّوَايَاتِ، الْعَامُ الَّذِي تُوفِّيَ فِيهِ أَبُو طَالِبٍ وَالسَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ، بِعَامِ الْحُزْنِ، بِمَا يُشِيرُ إِلَى الْحُزْنِ الَّذِي أَلْمَ بِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) جَرَاءَ فَقْدَانِهِ لِعَمِّهِ وَزَوْجِهِ، هَذَا الْعَمُ الَّذِي جَاهَدَ وَصَبَرَ وَوَاجَهَ كُلَّ التَّحْدِيدَيَاتِ، وَلَمْ يَسُلِّمْ أَبْنَ أَخِيهِ لِلْمُشْرِكِينَ، بَلْ وَاجَهُهُمْ بِقُوَّةٍ وَوَعْيٍ وَعِنْفَوَانَ.

أَخِيرًا، إِنَّ لَأَبِي طَالِبٍ مُنْزَلَةً كَبِيرَةً عِنْدَ رَسُولِهِ، وَيَبْقَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ وَسَيِّدِ الْبَطْحَاءِ، وَشَيْخِ قَرِيشٍ، وَبِيَضَّةِ الْبَلَدِ، وَكَافِلِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). حِيثُ كَانَ النَّاصِرُ الْوَحِيدُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَالْمَحَايِي عَنْهُ وَالْمَحْتَمِلُ لِعَظِيمِ الْأَذَى مِنْ قَوْمِهِ فِي سَبِيلِهِ وَالْبَادِلُ أَقْصَى جَهْدِهِ فِي نَصْرَتِهِ فَمَا كَانَ يَصْلِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ قَوْمِهِ سُوءٌ مَدِّدَةٌ حِيَاةً أَبِي طَالِبٍ.